به على الاتساع كقولهم • يا سارق الليلة اهل الدار • ومعناه ملك الامور
يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه
الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم
بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه
الاوصاف على الله من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم
كلها ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب
والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه
على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار
من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد
فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو
الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه
متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه تعالى لايجاب بالذات او وجوب
عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الا
ختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد
للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف
بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب
بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على
الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود
وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام
على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر
في الائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما
هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون
السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب
الى اسلوب اخر تطرية وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة
ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم بريح وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ
القيس • تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد •

وبات

• وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العائر الارمد •
• وذلك من نبا جاءني • وخبرته عن ابي الاسود •
وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف
في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا
بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي
الضماير وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم
اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة
وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق
معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل
الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية
والضرورية ما لا ياتي الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول الة
ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف
بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة
في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم
لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في
اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة
وحاضري صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم
وخلط حاجته بحاجاتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة
وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن
عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه
على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة
بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب
القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من
حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكاه عن حبيبه حين
قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه موسى حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غيره وقدمت
العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الاي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)